وهذا المذهب يظهر اقرب الى الفرض منهُ الى الحقيقة واشبه بتصورات كبلر وغيره من اصحاب المذاهب الخيالية ولكنهُ مطابق من بعض الوجوه لآراء المحدثين في حياة المادة ووجه مطابقتهِ لها في ما ينطوي عليهِ من الارتقاء في مواد الكرة الارضية

وصاحب هذا المذهب برايرومن رأيهِ ان الاحياء الاولى وجدت في النار ثم طرأ عليها ما طرأ من التغيير فباتت على مثل ما تراها الآن. ومع ما طرأ عليها من التغيُّر العظيم لم يتغير عددها بل ان مجموع الاحياء في الكون بقي على ما كان عليهِ

هذه هي اراء الشعراء وعلماء ما وراء الطبيعة والفلاسفة في حيوية الاجسام غير الحية ولكن العلم الحديث ينظر اليها نظرًا آخر ويرى ان فيها اثرًا لعمل العوامل التي تتسلط على الاجسام الحية وخواصها الاساسية (ستأتي البقية)

مصطفى فهمي باشا وتجران باشا

نقلاً عن المقطم

لما اشتدَّ في العاصمة الحر ضاق منا الصدر وعيل الصبر فملنا التخيير والتحرير ورحلنا عن العاصمة وهجرنا الهجير وجئنا رمل الاسكندرية التغير تشرح الصدور بنسيمهِ العليل وتنعش النفوس بشمألهِ البليل فالفيناهُ مصيفاً تمَّ اعتدالهُ وشغف القلوب جمالهُ وقرب على سكان العاصمة وصالهُ. البحر يرسل النسيم اليهِ والرياض والحدائق تنثر الورود عليهِ ولطف اهلهِ يجعلهُ جنة الانس للقادم اليهِ فحمدنا الله على انهُ كان نصيبنا في هذا الصيف ولم نتحسر على فراقهِ كما تحسر الذين قصدوا اوربا فوجدوها شبه سقر من شدة الحر ولا عانينا من صروف الايام ما يعانيهِ المصطاف في بر الشام. واسعدنا الحظ بمنزل في الابرهيمية اجتمعت فيهِ اسباب النزهة والراحة والتسلية فالبحر يرغي ويزبد على اركانهِ وامواجهُ تتنفس نهارًا وليلاً تحت جدرانهِ والنسيم البليل لا ينقطع لحظة عن سكانهِ. وجماهير المتنزهين على الشاطئ يؤنسونهُ ساعات الوحشة ووقوعهُ بين الناس في اطراف المنازل يجعلهُ شبه قاعة الاجتماع لطالب التسلية والمحاضرة وشبه صومعة المعتزل لطالب التأمل والتفكير. ومما زاد توفيقنا بهِ توسطهُ بين صحب لنا من خيرة الانام وصفوة القوم الكرام فركوب الترام هنيهة من الزمان يوصلنا غربًا الى الاسكندرية حيث الاخوان والخلان يضيق عن عدهم المقام ويعجز عن وصف لطفهم اللسان. ويوصلنا شرقًا الى قصر حضرة الماثل الخواجا وهبي كرم الذي فاق قصور الرمل في عظمتهِ

وزخرفته وزينته والى منزل صهرهِ الوجيه الاديب الخواجا ديمتري خلاط ومنزل حضرة الوجيه الماجد الخواجا جورج كرم وحضرة صهرهِ الوجيه الخواجا الياس دياس ومن جهة اخرى الى قصر سعادة الهمام سابا باشا مدير البوسطة العام حيث لطف السكان يحكي بهجة المكان وغير ذلك كثير من المنازل والقصور حيث الاصدقاء والخلان مبثوثون الى ما وراء سان ستفانو والسراي عدا الخلان والجيران النازلين على قربٍ منا في الابرهيمية نفسها ونحوهم من الافاضل الذين سبونا بانسهم ولطفهم وامسونا بجميلهم ومعروفهم في زياراتهم وأنسونا الحابر والاقلام ببهجة اجتماعاتهم وكرمهم في ولائمهم ودعواتهم وحسن مسامراتهم في منتزهاتهم

اخبار الجرائد المحلية

بينما كنا بالامس جالسين على شرفة تطل على البحر والامواج الخضر تتعالى تحت اعيننا ثم تنقلب وتصدم الصخر فتكسو الشاطئ حلة ناصعة البياض . ثم تعود وهي تجج وتغيب في اللج اذا الخادم قد اتانا حاملاً الجرائد المحلية التي تصدر في العاصمة والاسكندرية فقلبنا النظر فيها فاذا بعضها ينعي المرحوم تجران باشا الذي مثل في زمانهِ دوراً عظيم الشان على مرسح السياسة المصرية . وبعضها ينشر كتاباً من ابرهيم بك الهلباوي المحامي يفصح فيهِ عما يجد في نفسهِ من السرور بالسفر مع عطوفة مصطفى باشا فهمي رئيس نظار مصر في باخرة واحدة لان سفرتهُ يسرت عليهِ محادثة عطوفتهِ والتمتع برقتهِ والاطلاع على آرائهِ القانونية والاجتماعية ويعترف في غضون ذلك بان كل ما كتبهُ وما قالهُ ايام ما كانوا يسمونهُ "بالنهضة المصرية" كان خطاء في خطاء واضغاث احلام صادراً عن قلة التجربة والاختبار وعدم معرفة حقائق الامور . ويقول ان الجفاء الذي كان يشعر بهِ ايام تلك "النهضة" عند نظرهِ "الى شخص عرف بانهُ موالٍ للاحتلال — يعني بهِ مصطفى باشا فهمي — قد تبدل الآن بمحبة واحترام حيث دلت التجارب على ان مقاومة الاحتلال ان لم تجلب ضرراً فلا تفيد فائدة . دلتنا التجارب على ان البناء الذي كنا نسعى لتدعيمهِ والاستقلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف" اه

هذه الاقوال خطها قلم ابرهيم بك الهلباوي ونشرتها جريدة المؤيد في هذه الايام كما خط قلمهُ المقالات التي عنوانها "الى اي طريق نحن مسوقون" ونشرتها جريدة المؤيد حين "النهضة" في هاتيك الايام

وتصفحنا جرائد اخرى سميت منذ ايام النهضة "بالجرائد الاسلامية" تمييزاً لها عن سائر الجرائد المصرية فالفينا فيها طعناً صارعاً في الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد ووصف سخط الرأي العام لما فعل بفضيلة السيد احمد عبد الخالق السادات ووصف سقوطهِ عند الجمهور

وانحطاط منزلة جريدته عند قرائها الى غير ذلك مما يشعر بان اصحاب " الجرائد الاسلامية " مصممون على اسقاط المؤيد وصنع صاحبه ومحق ثقة الجمهور به في هذه الايام كما رفعوا منزلتهُ عند القراء واحلوهُ محل الثقة منهم تارة باقلامهم واقوالهم وطوراً بافعالهم واموالهم ايام " النهضة "

اخبار طوتها الايام

فقراءة ما تقدم من الاسماء والاقوال هاجت اعماق النفس منا كما كانت الريح تهيج لجج البحر امام اعيننا واعادت الينا ذكرى حوادث مضت ورسوماً بقيت على لوح الذاكرة بعد ان طوت الايام اصحابها وعفت المنون آثارهم فتذكرنا ليلة من ليالي اكتوبر سنة ١٨٩٢ كنا قد انتهينا فيها من عناء يوم كثير الاشغال والهموم وجلسنا على شرفة المنزل في القاهرة نلتمس الراحة بالانفراد والسكون واذا جرس الباب يقرع فلما فتح الخادم دخل صديق تحت جنح الغسق وطلب مقابلتنا في الحال وكان رحمهُ الله من الاصدقاء الذين اشتد الوداد بيننا وبينهم فأدخلهُ الخادم الينا بلا امهال وكانت لوائح القلق والاهتمام تلوح على وجههِ . فما لبث ان جلس حتى كاشفنا بسر وقال عملت من فلان وفلان — وكلاهما ثقة عندكم في صحة الاخبار — انهما مشرفون على انقلاب واضطراب واختلاط واختباط فان الجناب العالي مصمم على امر جلل وفعل خطير سيكون من بعدهِ صراع شديد ونزاع كثير وقد عزم ان يجعل فاتحة تصميمهِ اسقاط الوزارة الفهمية واستبدال عطوفة مصطفى فهمي باشا رئيس النظارة بسعادة تجران باشا ناظر الخارجية فان تجران باشا حاز المكانة العظمى عند سموهِ منذ كان سموهُ يطوف الوجه البحري في سياحتهِ السنية وادرك المنزلة العليا في ثقتهِ لانهُ اقنعهُ ان نفوذ الاحتلال يعلو في مصر ويتعاظم حتى فاق كل نفوذ سواهُ فيخشى على المصالح الخديوية والمصالح الوطنية ان تضيع بالاستسلام الى المحتلين ومطاوعتهم على مرادهم ولذلك يجب ان يعارضوا على يد وزارة وطنية قوية تناقشهم حساب كل كبيرة وصغيرة وتوقفهم عند حدهم بقوة الاتحاد وشدة المعارضة والجري على خطة مخالفة لخطة الوزارة الفهمية . قال صديقنا رحمهُ الله وانتم تعلمون ان سمو الامير جلس على الاريكة الخديوية منذ عهد غير بعيد آتياً من مدرسة الطريزيانوم في النمسا حيث كان يلتقن المعارف والعلوم مع شبان مثلهِ احداث في السن فلم يختبر الرجال ولا عرف بعد متاعب الملك ومصاعب الحكم فاعجبتهُ اقوال الذين زينوا لهُ الاستقلال والنهي وسهلوا عليهِ التخلص من الاحتلال ووعدوهُ ان يبلوهُ ما تمنى بما يبدون من العزم والحزم في معارضة المحتلين فوثق سموهُ بهم وصمم على عزل مصطفى باشا فهمي وتقليد تجران باشا منصب رئاسة النظارة في اول فرصة

وكان صديقنا يورد في غضون كلامه حوادث مطابقة لاخبار كنا سمعناها ويشرح اموراً كانت قد اتصلت بنا ولكن خفي علينا مغزاها فلما تمّ كلامهُ حتى ايقنا بصحة خبرهِ ونشرنا في الغد خبراً وجيزاً في المقطم ذكرنا فيهِ العزم على اسقاط الوزارة النهمية صريحاً ولمحنا الى تقليد تجران باشا رئاسة النظارة وسائر ما تقدم من الكلام تلميحاً

فما ظهر هذا الخبر حتى ذاع ذلك السرُّ المكتوم وتحدَّث بهِ القريبون والبعيدون ووردت المسائل على ادارة المقطم تترى كما هو المعتاد في كل خبر يهيج الجمهور . واتفق ان عطوفة مصطفى باشا فهمي كان حينئذٍ في طريقهِ عائداً من مصيفهِ في اوربا فلما رست بهِ الباخرة في ميناء الاسكندرية كان بين الذين ذهبوا للقائهِ جماعة يحملون اعداد المقطم الحاوية الخبر فما انتهوا من السلام عليهِ حتى سألوهُ عن صحة الخبر فأجابهم انهُ لم يسمع ذلك الاَّ منهم وان خبر المقطم ربما كان طعماً لصيد بعض الطامعين بالوزارة لا اقلُّ ولا اكثر . ثم جاء العاصمة وقال للمرحوم البارون مالورتي مدير المطبوعات حينئذٍ أرى ان المقطم قد نشر خبراً عارياً عن الصحة هاج بهِ الخواطر فيحسن تكذيبهُ . فكتب الينا البارون مالورتي كتاباً بهذا المعنى ووصل الساعي بالكتاب ونحن نهمُّ بالركوب لبعض المقابلات . فتناولنا الكتاب ومررنا بالبارون في طريقنا فقابلنا بالعتب الشديد على نشرنا خبراً لا يضرُّ ولا يفيد قبل ان تحقق صحتهُ وقال اننا لو سألناهُ عنهُ قبل نشرهِ لاخبرنا انهُ من الاشاعات الباطلة البعيدة عن الصحة واطال رحمهُ الله في العتاب بما دلنا على انهُ لم يكن يعلم شيئاً مما كان جارياً في تلك الايام وطلب منا تكذيب الخبر في الختام

فتبسمنا وقلنا انك توافقنا يا جناب البارون على ان الجرائد انشئت لنشر الاخبار الصادقة لا لتكذيبها ولا لاخفاء الحقائق عن قرائها حتى لا يعلموا بوقوع خلاف بين اعضاء الوزارة او بعزم الامير على اسقاط الوزارة واقامة أخرى مقامها

فقاطعنا في الكلام قائلاً اني اؤكد لكم ان الخبر غير صحيح ولولا ذلك لم اطلب تكذيبهُ

فاجبناهُ ونحن نؤكد لك ان الخبر صحيح ولولا ذلك لم ننشرهُ اذ لم نقدم على نشرهِ ونحن جاهلون عواقب نشرهِ . فقال اذاً قصدكم ان لا تكذبوهُ

قلنا هذا هو قصدنا ولو ساء عطوفة رئيس النظار ذلك منَّا لان عطوفتهُ يكون اول مستخف بنا اذا رآنا نكذب خبراً اليوم ثم نعود فنثبت صدقهُ غداً . فقال ولكن الجرائد الاخرى تكذبهُ

قلنا افعل ما بدا لك وودعناهُ وانصرفنا والظاهر ان اجوبتنا اثنتهُ عن عزمهِ ولو لم تثنها

اقوالهُ عن عزمنا فانا لما فرغنا من مقابلاتنا وعدنا الى ادارة المقطم وجدنا منهُ كتاباً ثانياً يسألنا فيهِ ان نقابل رئيس النظار . فاستقبلنا عطوفتهُ عشيَّة ذلك النهار بوجه باسر خلافاً لما اشتهر عنهُ من مقابلة زائريهِ بوجهٍ بشوش وكلمنا كلاماً يقطر العتب بل الغضب منهُ زاعماً اننا قصدنا القاء الشقاق والنفور بين الاخوان المتفقين فضاه لمآرب بعض الطامعين واننا لم نزل متعمدين ذلك لامتناعنا عن تكذيب خبر ليس فيهِ من الصحة اثر

فساءنا ذلك الجفاء ممن لم نكن نسمع منهُ الاَّ كل كلمة طيبة قبل هذه الحادثة ولم نرَ منهُ بعدها غير ما يسبي من اللطف والدعة ودماثة الاخلاق ولين الجانب على طول معرفتنا بهِ وكثرة محادثتنا لهُ . ولكننا كظمنا الغيظ واجبناهُ بالايجاز قائلين اننا لم نقصد من نشر الخبر الاَّ القيام بواجب الصحافة ولو لم نكن مقتنعين بصحتهِ لما تأخرنا عن تكذيبهِ . ومع ذلك فقد نشر الخبر وقضي الامر فما على عطوفتهِ الاَّ الصبر فان كان كاذباً كذبتهُ الايام وان كان صحيحاً قبل عطوفتهُ عذرنا والسلام . ثم استأذنا وانصرفنا ونحن نتأسف من صناعة ان صدق صاحبها فيها سوَّد وجههُ وان لم يصدق اتعب ضميرهُ واغضب ربهُ

وبعد زمان غير طويل اخذ المستور في الظهور ووقع الجذب والدفع بين ولاة الامور على غير علم من الجمهور . ثم مرض مصطفى باشا مرضاً ثقيلاً في اواخر سنة ١٨٩٣ حتى لم يرجهِ كثيرون لهُ الشفاء فأراد الجناب العالي تعيين المرحوم تجران باشا رئيساً لنظارهِ وابى جناب اللورد كرومر ذلك وكان من جراء ذلك ما كان مما لا يزال محفوظاً في الاذهان . وقامت الجرائد المصرية حينئذٍ على مصطفى باشا قومةً واحدة فلم تترك ذمًّا ولا لومًا ولا هجوًا ولا هجرًا الاَّ رمتهُ بهِ وكان اقل طعن تطعن عليهِ بهِ قولها الخائن المائن العاصي مولاهُ الناكث عهود وطنهِ . وكانت جريدتا الاهرام والمؤيد حينئذٍ في طليعة الجرائد العربية الحاملة عليهِ والجرائد الاخرى تحذو حذوهما وتردّد صدى اقوالهما ولكن خالفها المقطم وثبت في وجه الاحزاب الرافعة رايات " النهضة " وظل ينادي على رؤوس الاشهاد ان سياسة مصطفى باشا والافراد الذين يعدون على الاصابع لقلتهم من المجاهرين برأيهِ هي سياسة الحكمة والرشاد النافعة للامة والبلاد واما سياسة العداوة والمقاومة فعواقبها غير نافعة ولا مأمونة بل ربما كانت وخيمة

وليس من غرضنا ايراد ما كان من الصراع والقراع في ساحات الحرب التي اشتبكت فيها اقلام الادباء والكتَّاب في هاتيك الايام وانما نقول ان ابرهيم بك الهلباوي كان من الذين جالوا جولات عظيمة فيها وصالوا وطالوا وتحاملوا وتطاولوا تحت راية " النهضة " . ومن الاقوال السائرة عند الاوربيين ان التاريخ يعيد نفسهُ . وقد صح هذا القول في صاحب المؤيد فان

من يتذكر الاقوال التي كان يطعن بها على مصطفى باشا فهمي وحزبهِ ايام " النهضة " ويقرأ الاقوال التي تطعن بها عليهِ الجرائد الاسلامية بسبب قضيتهِ مع السادات في هذه الايام يقول ان تلك الجرائد انما ترد اليهِ اقوالهُ وتكيل لهُ بالكيل الذي كان يكيل بهِ لغيرهِ. فليعتبر بذلك اصحابُ الصحف الحديثة اليوم قرب اقوال يقولونها وصحفهم قليلة التأثير وضيعة الشان يجرعون سمها الزؤام بعد ما يعظم شانها على مر الزمان

وبعد ما سقطت الوزارة الفهمية وعقبتها الوزارة الرياضية الاخيرة في ابان الانقلاب والاضطراب وهيجان البلاد صعد عطوفة مصطفى باشا فهمي في النيل وسافر الدكتور ملتن معهُ ليمرضهُ و يعتني بهِ حتى يسترجع عافيتهُ ولما عاد الى العاصمة وصار قادراً على مقابلة الزائرين عدناهُ في جملة الزائرين القليلين فصافحنا شديداً وذكر الخبر وما جرى بيننا بسببهِ وقال اصبتم في ما نشرتم وفي ما فعلتم ولا تستغربوا شدة انكاري لخبركم فسليم النية لا يظن في الناس الاَّ سلامة النية

سياسة تجران باشا

قلنا ان المرحوم تجران باشا لم يتقلد رئاسة النظار ولكنهُ بقي مدة خدمتهِ في الحكومة قوَّة محركة وحركة فعَّالة لهُ الكلمة النافذة والمكانة السامية عند الحضرة الفخيمة الخديوية حتى كانت احزاب " النهضة " تعدهُ اليد المدبرة في الوزارة الرياضة الاخيرة . وشاع يوماً ان الحكومة المصرية ساعية في انتقاص جيش الاحتلال او في ارجاعهِ عن هذه الديار وان نظارة الخارجية المصرية تفاوض نظارة الخارجية البريطانية رأساً في ذلك فزرنا المرحوم تجران باشا اول زيارة في منزلهِ وسألناهُ عن تلك الاشاعة فأجابنا بابداء الدهشة والاستغراب وافضى بنا ذلك الى حديث طويل تحققنا فيهِ بالخبر ما كنا نسمعهُ بالخبرَ عن حريتهِ في مجاهرتهِ بضميرهِ والتصريح برأيهِ وعن ذكائهِ وسرعة خاطرهِ وتسرعهِ في الامور وحدتهِ والاقدام على الاشياء قبل تقديرهِ موضع قدمهِ وعاقبة خطوتهِ . واعجبنا منهُ ما كان يبدو عليهِ من العظمة والهيبة التي يقال انهُ ورثها عن ملوك الارمن اجدادهِ من جهة ابيهِ كما ورث حرية الضمير عن اجدادهِ الانكليز من جهة امهِ

ومن جملة الاقوال التي قالها لنا حينئذٍ في الدفاع عن سياستهِ وتخطئة السياسة التي يشير بها المقطم . اني انا وابي من قبلي صرنا مصريين ومصر صارت وطننا فلا نعرف لنا وطناً غيرها. وخديويو مصر امراؤنا واولياء نعمتنا. فحسن الوفاء والولاء يوجب عليَّ خدمة وطني والانتصار لاميري ومعارضة الاجنبي الطامع بأخذ وطني والحلول محل اميري فاذا فزت في معارضتهِ

فقد نلت المرام وان اختفت نجمي اني فعلت الواجب عليّ وما افلحت . واما انتم فتشدون ازر الاجنبي على الوطني وتبغون انالة المحتلين حقوق الخديويين فسياستي ممدوحة ولو اختفت. فيها وسياستكم غير ممدوحة ولو فزتم فيها

فقلنا لهُ ليس الامر كذلك يا سعادة الباشا بل كلٌّ منا يغني على ليلاهُ ويخطئ من يتوهم منا ان غايتهُ اشرف من غاية سواهُ فكن على يقين ان ما نقصدهُ من الخير لاميرك ووطنك نقصدهُ نحن مثلك وما غيرتك عليهما باشد من غيرة غيرك ولكن الفرق بينك وبين غيرك هو في السياسة المؤدية الى ذلك فسادتك تُنزل الى ساحة الصراع قوياً وضعيفاً اولهما الاجنبي وثانيهما الوطني ثم تطلب ان يكونا خصمين متعادين وتفرض ان مصالحهما متناقضة طبعاً مع انها متفقة في اكثر الامور اتفاقاً لايكاد يكون لهُ مثيل بين مصالح فريقين متشاركين او متحالفين . وتحرّض بعد ذلك الوطني الضعيف على مبارزة الاجنبي القوي وتغري من لاسلاح معهُ بمهاجمة الممتنع في حصنهِ المدجج بسلاحهِ ثم تقول ان فاز الضعيف فقد نلنا المرام وان قهر وذلّ فقد فعلنا الواجب علينا والسلام . ونحن نقول ان ذلك ليس من الصواب بل حسن السياسة يوجب على الضعيف الابتعاد عن التحرش بالقوي واجتناب كل امر يؤدي الى وقوع التنافر بينهما وتوخي كل واسطة توثق عرى الاتفاق والاتحاد بينهما . والقوي ليس هنا خصماً للضعيف بل انهُ نصير لهُ يسالمهُ قولاً وفعلاً ويصون مصالحهُ ظاهراً وباطناً لان مصالح الضعيف مطابقة لمصالحهِ . فالواجب الذي لا يجوز للعقلاء ان يختلفوا فيهِ هو ان ينصحوا للضعيف دائماً بمسالمة القوي والسعي في الانتفاع بقوتهِ وعلمهِ ومساعدتهِ واتخاذهِ صديقاً لاعدوّاً والاّ كان الضعيف معهُ كالساعي الى حتفهِ بظلفهِ ونال القوي مرادهُ منهُ رغم انفهِ

فهزّ تجران باشا رأسهُ اشارة الى عدم الموافقة على رأينا ولسان حالهِ يقول " ان سياستكم هذه كلها كلام " . وادمنا النظر الى عينيهِ دنيهة ثم حوّلنا الطرف عنهُ ولسان حالنا يقول " وسياستكم خطاء تظهرهُ الايام " واستأذنا وانصرفنا وكان ذلك آخر حديث بيننا

ثم مضت الايام والاعوام وتجران باشا يتوارى عن عيون الجمهور ويبعد عن مراكز ادارة القطر ومحافل السياسة عاماً فعاماً حتى نسيتهُ الجرائد وسكتت عن ذكرهِ الالسنة بعد ان بقي موضوع حديث الصحف والمجالس الخصوصية والعمومية زماناً ولم يعد الجمهور يسمع عنهُ غير اخبار الذهاب والاياب في السفر او خبر ايلام وليمة او الدعوة الى وليمة وما اشبه . وقد رأى احزابهُ تحلّ وتضمحلّ في غضون ذلك وسمع الزعماء والعقلاء فيها يعترفون بان سياسة مصطفى باشا فهمي كانت سياسة الصواب وان عطوفتهُ رأى بعين عقلهِ وبعد نظرهِ في الامور مالم

يروهُ هم الاَّ بعد مضي بضعة عشر عاماً في الاخبار والاطلاع على سير الاحوال . ووافتهُ منيتهُ فانتقل الى رحمة ربهِ بعد ما كتب ابرهيم بك الهلباوي قائلاً بلسانهم في جريدة المؤيد ان النفور الذي كانوا يشعرون بهِ من مصطفى باشا فهمي لانهُ اول شخص موالٍ للاحتلال قد تبدل بمحبة واحترام وان البناء الذي كانوا يسعون في تشييدهِ وتأييدهِ والاستظلال بظلهِ قائم على اساس ضعيف

ولما تأملنا هذا التغير في رأي الجمهور ونحن نتتبع ادوار تغيرهِ بسرور حانت منا التفاتة الى البحر فاذا موجة خضراء قد تعالت وتعاظمت حتى طغت على ما حولها ثم انقلبت وصدمت صخراً امامها فتنفست عليهِ وهي ترغي وتزبد وتطاير زبدها في الجو حتى اخفى الصخر عنا ولم يبقَ غير مائها وزبدها امام اعيننا . ولكن لم يكن الاَّ كلمح القبس حتى ارتدَّ ذلك الماء الى جوف البحر وغاب في لجهِ وانحسر عن الصخر فبان الصخر ثابتاً راسخاً في موضعهِ . فقلنا ما اشبه امر هذه الموجة بما يجري في تاريخ البشر من الحوادث والعبر فترانا نجتمع ونفترق ونختلف ونتفق ونهيج ونجيش ثم نسكن ونغيب في لجج بحر الدهر ولا يبقى الاَّ الحق والصواب ثابتين كالصخر

التصعيد في الجبال

اذا وضعتَ عصاً على الخمص طفل عمرهُ بضعة ايام انقبضت اصابع قدمهِ عليها كأنهُ يحاول مسكها . وقد يسهل رفع الطفل عن الارض بانقباض اصابع قدميهِ على العصا وتعلقهِ بها . ويقول البعض ان ذلك دليل على ان اسلاف الانسان الاولين كانوا يستعملون اقدامهم في اعتراش الاشجار كما يستعملون ايديهم وكما تستعمل القرود اياديها واقدامها . وسواء صحَّ هذا القول او لم يصح فالميل الى اعتراش الاشجار والتصعيد في الجبال غريزي في الانسان يظهر في صغارهِ ويرتاح اليهِ كبارهُ ويقدم عليهِ غير مبالٍ بما قد يؤدي اليهِ من المخاطر

يخطر على بالنا الآن مافعلناهُ في سن الصبا فنستغرب اقدامنا عليهِ لولا هذا الخلق الفطري . وقفنا ذات يوم تجاه جبل صنين اعلى جبال لبنان فرأيناهُ شامخاً يناطح السحاب وكنا عند سفحهِ على مقربة من نبعهِ وقيل لنا ان الطريق الى قنتهِ بعيد طويل وانهُ قد يمكن الصعود اليها في خط مستقيم مواجهةً . فشرعنا نصعّد ولا مرشد لنا ولا دليل ولا شيء يقينا من التدهور الاَّ اغصان البربريس الشائكة نتشبث بها في بعض الاحيان . وجانب الجبل هناك مفروش بفتات الصخور لا تثبت فيهِ قدم وتحتنا هوَّة زاد عمقها بارتفاعنا حتى صار الوقوع من الاقدام ومع ذلك